السنة الأولى ماستر فنون / نقد سينمائي وسمعي بصري

السداسي الثاني

المقياس : مناهج النقد في السينما

الدكتور : عماري علال

المحاضرة الأولى

يجمع جلّ النقاد والمشتغلين بالسينما قديما وحديثا على القول جملة وتفصيلا بفكرة مفادها أنّ ظهور النقد السينمائي كان ملازما لنشأة السينما بحد ذاتها ، بحيث كان عرض أول فيلم سينمائي العام 1895 بمقهى باريس حدثا بارزا ومهما للغاية بالنسبة لجمهور المشاهدين آنذاك والصحافيين ورجال الإعلام خاصة ، إذ استقبلت الصحافة الفرنسية السينما استقبالا عظيما يليق بعظمة الصورة العجيبة المبهرة حينذاك، والموغلة في الخيال البشري بكل تصوراتها وأشكالها .

ومن هنا كان المنطلق ، فكثرت التعليقات والمناقشات في الصحف والمجلات والنوادي الثقافية وحتى في الشوارع لعظمة الحدث ، بالمدح تارة والقدح تارة أخرى وتخصيص زوايا وصفحات بأكملها للكتابة عن السينما ، إلاّ أنّ هذه الكتابات افتقرت في مجملها للجانب الجمالي الفني واقتصرت على الجوانب الشكلية التي من شأنها تثمين المجهودات الفردية للمخرجين دون العمل الفني (الفيلم) وبذلك لم ترقى لمفهوم النقد السينمائي ، إلاّ أنّها كانت النواة الأولى له.

« قبل بضع سنوات تحدث الكاتب الفرنسي كريستيان ميتز عن تجربته في حقل السينما، حيث راح يصف تحديا ما انفك يواجه دارسي الأفلام حتى اليوم فقال : جميعنا يفهم الأفلام السينمائية ولكن كيف يتبين لنا شرحها ؟» (1)

---

(1) ـ تيموثي كوريجان : كتابة النقد السينمائي ، ترجمة : جمال عبد الناصر ، مراجعة : هشام النحاس ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . جمهورية مصر العربية ، ط1 ، 2003، ص : 17.

والجدير بالذكر أنّ السينما أضحت اليوم جزءا هاما في حياتنا لا يمكن الاستغناء عنه ، فيها ما نحب وما نكره ، ولعل بعضها أضحى جزءا من تاريخ حياتنا لا يمكن نسيانه وبعضها شكّل ذاكرة لأمم وشعوب كمولد أمة والمدرعة بوتمكين وذهب مع الريح ومعركة الجزائر والأرض وغيرها من الأفلام التي كتبت أسماؤها بأحرف من ذهب في سجل الخالدين في مجال السينما خاصة والفن على العموم .

« وإذا كانت الأفلام تلقي بظلالها على جوانب من حياتنا ، فإنّ ذلك يمكّننا من التمتع بها ، بطرائق مختلفة كثيرة ، بما في ذلك متعة التحدي الكامنة في محاولة التفكير ، أو التوضيح ،أو الكتابة ، عن تفاعلنا وتلك الأفلام ، فنحن نذهب إلى دور العرض لعدة أسباب ، إما لنفكر ، أو لا نفكر ، في الأفلام التي نشاهدها ، وإما لنتطلع إليها ونكتب عنها ، إما لنستهلكها ، وإما لنبحث فيها عن غذاء لعقولنا ، ومن هنا فإنّ كتابة النقد السينمائي تسمح لنا بالاستمتاع بالأفلام ، بسبل لم يكن بمقدورنا التعرف عليها من قبل ، وإذا كانت المشاهدة سبيلا للمتعة ، فإنّ الكتابة النقدية سبيل آخر أكثر إثارة » (1)

وبذلك تتعدد أسباب الكتابة النقدية من ذاتية شخصية متعلقة بالمتعة والإثارة والإعجاب مبنية على المشاهدة السطحية للفيلم إلى موضوعية لها علاقة مباشرة بالتفكير والتحليل والقراءة العميقة والغوص في خبايا الفيلم وهذا ما يعرف بالنقد عموما.

---

(1) ـ تيموثي كوريجان ، كتابة النقد السينمائي ، م س ، ص : 18.

ومنه يستنتج أنّ العملية النقدية معقدة، تحتاج إلى أطر وقواعد لتطبيقها في الواقع النقدي، بمعنى أنّ النقد ينبني على أسس ومناهج بموجبها يعمل الناقد على تحليل الفيلم وتفكيكه وقراءته وفك رموزه، لكي يتسنى للقارئ فهم محتوى الفيلم ومضمونه.

في الفيلم السينمائي توجد عدة جوانب مهمة يجب الاهتمام بها ، على غرار اللّغة أو الحوار الدائر بين الممثلين ، الصورة ، الموسيقى والأدب ، بما أنّه مأخوذ عن عمل روائي معين ، إضافة إلى العوامل الفنية وكذا التقنية التي يقوم بها المخرجون مثل الخدع السينمائية ، طريقة التصوير وغيرها ، لكن أرى بأنّ لمسة النقاد يجب أن تكون مميزة حتى تمس مختلف الجوانب ، كما أنّها تكمن في تحليل خارجي وداخلي لمحتوى وشكل الفيلم ، أي بمعنى آخر هناك نوعين من القراءة التحليلية للفيلم السينمائي سواء كان روائيا طويلا ، قصيرا أو حتى وثائقيا . » (1)

«في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي، كانت الحركة النقدية السينمائية ... صارمة إلى حد القسوة في تقييم الأفلام... كانت هذه الحركة ذات رؤية واضحة وتوجه محدد بفعل تأثرها بالنظريات السينمائية الجديدة – آنذاك – وتفاعلها النظري مع التيارات والحركات السينمائية العالمية. النقد كان يسعى إلى إظهار مدى تخلّف وسطحية المعالجات والأشكال التي كانت تقدمها الرموز التقليدية. وإذا كان – هذا النقد – يلجأ أحيانا إلى النبرة الحادة، الساخرة، التهكمية، فلأن الرصانة لم تكن ممكنة أو مجدية أمام سيل جارف من الأعمال السطحية والمبتذلة. » (2)

---

(1). حوار مع مدير مهرجان فاس للفيلم الوثائقي ،أحمد بوغابة حاوره حسان مرابط، لجريدة الفجر.
http ://www.al-fadjr.com/ar/index.php ?news=236743 ?

(2). أمين صالح : الكتابة بالضوء في السينما ، نادي المنطقة الشرقية الأدبي ،مسابقة أفلام السعودية ، الدورة الأولى ،المملكة العربية السعودية ، 2008 ، ص : 75، 76.

يقول اندريه بازانAndré Bazin * « ليس من السذاجة أن نولي اهتماما أكثر من اللازم لنقد الأفلام ، فرأي بعض الصحافيين لا يعطينا فكرة جيدة عن شهرة Fernandel(فرنانديل) ** فالمشرفين على قاعات السينما لا يهمهم سوى أرقام المداخيل ورأي الجمهور المتلقي ، فالأقلية منهم (المتلقين) يقرؤون ما يكتب في الصحافة عن السينما ، خاصة الباريسيين منهم ، فسوق الأفلام بالنسبة لهم خاضع لقوانين علم النفس الاجتماعي ، شأنه شأن سوق الجرائد (الصحافة) ، وهذا قبل الحرب العالمية الثانية .»(1)

إنّ المتغيرات نسبية في مجال النقد ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال تربية ذوق المشاهد مسبقا قبل عملية المشاهدة والحكم على الفيلم بالجيد والرديء ، ولكن على العكس من ذلك ، فإنّ جودة الأفلام وحدها كفيلة بتبيان ذلك ، ومن هنا نستخلص أنّ العملية النقدية معقدة في ذاتها وتحتاج إلى مزيد من الشرح والتعليل.

وبالتالي يستطيع الناقد تكوين استراتيجية فعالة لتحليل الفيلم السينمائي بأحداثه الدرامية و التاريخية أو الواقعية و الخيالية، مستندا على ما سبق من قواعد علمية أكاديمية ومناهج بحث مختلفة، من شأنها إضفاء المصداقية اللازمة للعملية النقدية.

---

* اندريه بازانAndré Bazin: من أهم النقاد الصحفيين السينمائيين وأشهرهم ، واحد من مؤسسي مجلة (**كراسات السينما**)التي نشر فيها معظم آرائه ومقالاته النقدية ، اشتهر بازان بسعة الاطلاع ورهافة الحس والذوق السليم ، زيادة لدرايته الواسعة بالفنون المختلفة ، كما انه من المنظرين للموجة الجديدة في السينما التي ظهرت في فرنسا أوائل ستينيات القرن العشرين ، من أهم مؤلفاته : اورسون ويلز 1950، فيتوريو ديسكا 1951 ، ماهي السينما 1961.

**جوزيف فرنانديل : ممثل ومغني ومخرج فرنسي ، ولد في 08 ماي 1903بمارساي وتوفي في 26 فيفري 1971 بباريس.

(2)_ André Bazin, Le cinéma de l'occupation et de la résistance, 10 /18, Union Générale D'éditions,4e trimestre 1975, France, p : 68.

« لابد للناقد في الوقت الحاضر أن يخلق معاييره الخاصة المبنية على مزيج من الخبرة المستمدة من مشاهدة مئات الأفلام الماضية والحدس فيما يتعلق بالقيمة والجماليات الإنسانية

(يمتزج هذان العنصران بالطبع) في الفيلم الذي يشاهده ، وبعدها يحدد قيمته النسبية المتصلة واضعا في ذهنه المستويات التي خلقتها الأفلام الجيدة في الماضي ، أما الذي يمكنه من ربط حكمه على موضوع الفيلم بحكمه على تكنيكه فهو إحساسه إزاء الفيلم باعتباره وسيلة فنية ولهذا يجب عليه شأنه شأن المخرج أن يكون ذواقة للقدرات التعبيرية في هذه الوسيلة .» (1)

---

(1) ـ علي شلش : النقد السينمائي ، م س ، ص : 62 ـ 63 .